

(٢٥) كشف الشبهات^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم - رَحْمَكَ اللَّهُ - أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ .
 وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ، فَأَوْلُهُمْ نُوحُ السَّلَّالَةُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ
 لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ: وَدَّاً، وَسُوَاعِداً، وَيَغْوُثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسَراً .
 وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ صُورَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُنَاسٍ
 يَسْعَبُدُونَ، وَيَحْجُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَلَكُنُّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ
 الْمَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقْرَبَ إِلَى اللَّهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ
 عِنْهُدَهِ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ، وَعِسَى وَمَرِيمَ وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ .
 فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ السَّلَّالَةَ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقْرَبَ
 وَالاعْتِقَادُ مَحْضُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقْرَبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ
 مُرْسَلٍ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا .
 وَإِلَّا فَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ
 لَا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمْتِتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَاوَاتِ وَمَنْ
 فِيهِنَّ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَيْدُهُ وَتَحْتَ تَصْرُفِهِ وَقَهْرِهِ .
 فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ
 تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَبْرَاجَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ
 وَخُرُجَ الْمَيْتُ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَنَقُولُ ﴾ [يُونَس: ٣١] .

^(١) طبعة دار الشريعة بالرياض التي قام بشرحها العلامة محمد بن صالح العثيمين، وطبعة مؤسسة الرسالة
 التي قام بشرحها العلامة الفوزان واعتنى بها عادل الفريدان.

وقوله: ﴿ قُل لِمَنْ أَلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَمَّلُونَ ﴾ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَشْقُرُونَ ٨٧ قُلْ مَنْ بِيْدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَاءٍ وَهُوَ يُحْكِمُ وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعَمَّلُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّ مُسْحَرُونَ ٨٩-٨٤ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]. وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققَتْ أَنَّهُمْ مُقْرُونَ بِهَذَا وَلَمْ يُدْخِلُوهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَرَفَتْ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الاعتقاد».

كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيَّلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؛ لِيَشْفَعُوا عَالَهُ.

أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ الْلَّاتِ، أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَى.

وَعَرَفَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشُّرُكَ وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨ ﴾ [الجن: ١٨].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ١٤ ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحَقَّقَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذِّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالاسْتِغاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ؛ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلَّهِ.

وَعَرَفَتْ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَالْأُولَيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقْرُبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، عَرَفَتْ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَيَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَإِنَّ إِلَهَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ سَوَاءَ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنَّةً، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ إِلَهَهُمْ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكُمْ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِإِلَهٍ مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ «السَّيِّد»، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ

التوحيد وهي: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها.

والكفار الجهل يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلق به، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ قالوا: «أَجْعَلُ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» [ص: ٥].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب من يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحادق منهم يظن أن معناها: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُدْبِرُ الْأَمْرُ إِلَّا اللَّهُ».

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ آنَ مُشْرِكَ يَهُ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨].

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسول من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا.

أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ، فِيمَا كُلِّكَ فَيَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَلُونَ» [يونس: ٥٨].

وأفادك أيضًا: الخوف العظيم.

فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل؛ فلا يذر بالجهل.

وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما كان يظن المشركون، خصوصاً إن الله مَا قصَّ عن قومٍ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْ قَائِلِينَ: «أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا

كُلُّهُنَّ لِهِ قُلْ أَفَلَا
كُلُّهُنَّ لِهِ قُلْ أَفَلَا
كُلُّهُنَّ تَعْلَمُونَ
كُلُّهُنَّ

أَنَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
أَنَّهُمْ كُوْنُ فِي زَمَانِنَا:

لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ

حَلَاصِ الْعِبَادَةِ لِهِ

الرعد: ١٤].

كُلُّهُ شَيْءٌ، وَالنَّدْرُ كُلُّهُ

تَسْلَمُهُمُ الْمَلَائِكَةُ،

الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ

وَالَّذِي الْمُشْرِكُونَ.

الَّذِي يُقْسِدُ لِأَجْلِ

الَّذِي يُرِيدُوا أَنَّ إِلَهَهُ

الَّذِي يَعْنُونَ

يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلْمَةٍ

كما لهم بالله ﷺ [الأعراف: ١٣٨].

فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَىٰ مَا يُخْلِصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.
وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً؛ كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنِّ يُوْحِي بَعْضُهُمُ إِلَىٰ بَعْضٍ
رُجُوفَ الْقَوْلِ غَرَوْرًا» [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَّجٌ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فَلَمَّا
جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَمِ» [غافر: ٨٣].
إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ
فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَّجٍ، فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ
هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقْدَمُهُمْ لِرَبِّكَ عَجَلًا: «لَا قُدْرَةَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ

﴿٦﴾

لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُهُمْ شَرِيكِينَ» [الأعراف: ١٦-١٧].

وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ وَأَصْغَيْتَ إِلَيْهِ حُجَّجِهِ وَبَيْنَاهُ فَلَا تَخْفَ وَلَا تَحْزَنْ: «إِنَّ كَيْدَ
الشَّيَاطِينِ كَانَ ضَعِيفًا» [النساء: ٧٦].

وَالْعَامِيُّ مِنَ الْمُوَحَّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: «وَإِنَّ
جُنَاحَهُمُ الْغَالِبُونَ» [الصادفات: ١٧٣].

فَجُنَاحُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللُّسُانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسُّنَانِ، وَإِنَّمَا
الْخَوْفُ عَلَى الْمُوَحَّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: «تَبَيَّنَتَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ» [آل عمران: ٨٩].

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَبَيْنَ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ
تَعَالَىٰ: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَيْشَلٍ إِلَّا جَنَاحَنَا كَيْدُ الْحَقِّ وَالْحَسَنَ تَقْسِيرًا» [آل عمران: ٢٣].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؛ جَوَابًا لِكَلَامِ احْتِجَاجٍ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا.

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ إِذَا تَحْكَمْتُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَكِّهِنَّ فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْبٌ فِيَنْتَعُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ بِتَبَغَّةِ الْفَتَنَةِ وَأَبْتِغَةِ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبَعَّونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ». [البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)].

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿ أَلَا إِنَّكَ أَرْلَيَاهُ اللَّهَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنَّ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَابَهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْبٌ يَتَرُكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَبَعُونَ الْمُتَشَابِهَ.

وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقْرَرُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفَّرَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأُولَيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعَوْنَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيْنَ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنْ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَصُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَيِّدِدُ؛ وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَقَهُ اللَّهُ؛ فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُقْنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَهُمْ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ، بَلْ نَشَهِدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يَنْفَعُ

الدليل الجامع المفيد إلى

فَقُلْ لَهُ عَرَفْ
رَسُولُ اللهِ
فَإِنْ قَالَ كَمْ
مِنْهُ وَالصَّالِحُونَ
فَالجَوَابُ
مِنْ دُونِهِ أُولَئِ
وَقَوْلَهُ تَعَالَى
وَاعْلَمُ: أَنَّ
كِتَابِهِ، وَفَهْمَتِهِ
فَإِنْ قَالَ أَنَا
فَقُلْ لَهُ أَنْتَ
فَإِذَا قَالَ تَعَ
فَقُلْ لَهُ يَسِّ
عَلَيْكَ.
فَإِنْ كَانَ لَا يَعْ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
فَإِذَا أَعْلَمْتَ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَسَّلَ
فَقُلْ لَهُ إِذَا أَتَ
تِلْكَ الْحَاجَةَ تَبَّأ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَسَّلَ
فَقُلْ لَهُ قَدْ

وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فَضْلًا عَنْ
عَبْدِ الْقَادِيرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنَا مُذِنُّ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ.
فَجَاءُوهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْرُونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقْرُونَ بِأَنَّ
أَوْثَانَهُمْ لَا تُدْبِرُ شَيْئًا وَإِنَّمَا أَرَادُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعةَ.
وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحْهُ.
فَإِنْ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ نَزَّلْتَ فِيمَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ
الْأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟ فَجَاءُوهُ بِمَا تَقَدَّمَ.
فَإِنَّهُ إِذَا أَفَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْهُدُونَ بِالرُّبوُبِيَّةِ كُلُّهَا لَهُ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا
الشَّفَاعةَ، وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَفَعْلِهِمْ بِمَا ذَكَرَهُ.
فَأَذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الصَّالِحِينَ وَالْأَصْنَامَ.
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأُولَائِاءِ الدِّينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ إِلَيَّ رَيْهُمْ
الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبٌ﴾ [الإِسْرَاءٌ: ٥٧].
وَيَدْعُونَ عِيسَى بْنَ مَرِيمَ وَأَمْهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمَ إِلَّا رَسُولٌ
قَدْ خَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْتِيَانِ الظَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نَبِيَّ
لَهُمْ أَلَا يَدِتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنَّ يُؤْفِكُوكُنَّ﴾ ١٥٠ قُلْ أَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَعْوًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة١٦-١٧].
وَأَذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
فَأَلُوْسُبِحَنَّكَ أَنَّ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سَيِّر١٤-١٥].
وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَالَ اللَّهُ يَعْسَى ابْنَ مَرِيمَ إِنَّكَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْخَذُونِي وَأَمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قُلْتَهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْبِ﴾ [المائدة١٦-١٧].

فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَرَ مِنْ قَصْدَ الْأَصْنَامِ، وَكَفَرَ أَيْضًا مِنْ قَصْدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ.

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشَهُدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسُ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنَّ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ؛ وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْذَوْا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُوْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءُ شُفَعَوْنَاعِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].
وَاعْلَمُ: أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الْثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَحَّكَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهِمَّا جَيَّدَ؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.
فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقْرِئُ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.
فَقُلْ لَهُ: بَيْنَ لِي هَذَا الَّذِي فَرِضَ عَلَيْكَ وَهُوَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ.

فَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ وَلَا أُنْوَاعَهَا، فَبَيْنَهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوكُمْ تَضَرُّعًا وَحْقِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَهُ، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذِهِ عِبَادَةَ اللَّهِ
فَلَابْدَ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ. وَالدُّعَاءُ مُنْخُ الْعِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةُ اللَّهِ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لِيَلَا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشَرَّكْتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ؟
فَلَابْدَ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَلِمْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وَأَطَعْتَ اللَّهَ

الدليل الجامع المفيد إلى

وَنَحَرَتْ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَةً؟ فَقُلْ لَهُ: نَعَمْ وَقَاتَلُبَهَا مِنْهُ وَقَاتَلَهَا مِنْهُ فَإِنْ قَالَ: فَلَأَبْدَأَ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرَتْ لِمَخْلُوقٍ: نَبِيٌّ، أَوْ جِنِّيٌّ أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ؟ فَلَأَبْدَأَ أَنْ يُقْرَرَ، وَيَقُولَ: نَعَمْ وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَأَبْدَأَ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذِّبْحِ وَالاِلْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقْرُرُونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدْبِرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَّجَهُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًا. فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَتَبَرُّ مِنْهَا؟! فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا وَلَا أَتَبَرُّ مِنْهَا، بَلْ هُوَ الشَّافِعُ وَالْمُشَفَّعُ؛ وَأَرْجُو شَفَاعَتِهِ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا» [الزمر: ٤٤]. وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ كَمَا قَالَ عَجَلًا: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» [آل عمران: ٢٥٥]. وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ فِيهِ كَمَا قَالَ عَجَلًا: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» [الأنباء: ٢٨]. وَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ كَمَا قَالَ عَجَلًا: «وَمَنْ يَبْتَغِ عِنْدَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» [آل عمران: ٨٥]. فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذِنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذِنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ؛

فاطلبها منه؛ وقل: اللهم لا تحرمني شفاعتك، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.
فإن قال: النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْحَمْدُ وَسَلَّمَ أعطى الشفاعة، وأنا أطلب منه مما أعطاه الله؟
فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فإذا كنت تدعوا الله أن يشفع بيتك فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
وأيضاً فإن الشفاعة أعطيتها غير النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْحَمْدُ وَسَلَّمَ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء
يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟!
فإن قلت هذا؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه.
وإن قلت: لا؛ بطل قولك: «أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله».
فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً؛ حاشى وكلا، ولكن الاتجاه إلى الصالحين ليس
بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرام الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره،
فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدرى.
فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا
ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟
أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.
فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار
تخلق وترزق وتدرك أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة، أو حجراء، أو بنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك
ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته أو يعطيها ببركته.
فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

الدليل الجامع المفيد إلى

فَهَذَا أَقْرَأَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: الشَّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشَّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءِهِمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفُرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَابِدُ أَنْ يُقَرِّرَ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ لَهُوَ الشَّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَسِرُّ الْمَسَالَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَشْرُكُ بِاللَّهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشَّرْكُ بِاللَّهِ؟ فَسَرَّهُ لِي.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ.

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ؟ فَسَرَّهَا لِي.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ؟ فَسَرَّهَا لِي.

فَإِنْ فَسَرَّهَا بِمَا بَيْنَهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدْعُعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟!

وَإِنْ فَسَرَّ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ بَيَّنَتْ لَهُ الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ فِي مَعْنَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعِينِيهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ التَّيْ

يُنَكِّرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيغُونَ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجْعَلَ الْأَلْهَمَةِ إِلَهًا وَجَدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عِجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «كَبِيرُ الْاعْقَادِ» هُوَ الشَّرْكُ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى النَّاسَ عَلَيْهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ شَرِيكَ الْأَوَّلِينَ أَخْفُ مِنْ شَرِيكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأُولَيَاءَ وَالْأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي

الرَّحَاءِ، وَأَمَّا الشَّدَّةُ فَيُخْلِصُونَ اللَّهَ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّحُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُمْ وَكَانَ إِلَيْنَا نَكْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا يَتَكَبَّرُوكُمْ إِنْ أَتَنْكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَنْكُمُ السَّاعَةَ أَغْيَرَ اللَّهُوَدُونَ إِنْ كَفَرُ صَدِيقَيْنَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤١-٤٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ إِلَيْنَا نَصَارَىٰ صُرُّ دُعَارِبَهُ، مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَمَنَّ كُفُرَكَ قَيِّلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشَّيْهِمْ مَوْجٌ كَأَظْلَلَ دَعَوْا اللَّهَ مُخَاتِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [القمان: ٣٢].

فَمَنْ فِيهِمْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي وَضَحَّاهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَاتَلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّحَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَاءِ وَالشَّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ سَادَتَهُمْ؛ تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شَرِيكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشَرِيكِ الْأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهُمْ رَاسِخُوا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَاسًا مُقْرَبِينَ عِنْدَ اللَّهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءً، وَإِمَّا أُولَيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا، أَوْ أَحْجَارًا مُطْبِعَةً لِلَّهِ لَيَسْتَ عَاصِيَةً.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنَاسًا مِنْ أَنْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الْفُجُورَ مِنَ الزَّنَنَةِ وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ أَوِ الَّذِي لَا يَعْصِي مِثْلَ الْخَشِبِ وَالْحَجَرِ أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشْهُدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَاحُ عُقُولًا، وَأَخْفَفُ شِرَكًا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِهُؤُلَاءِ شُبَهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْنِعْ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ لَا يَشْهُدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ لَا يَشْهُدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ وَيُنَكِّرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

كَمْ خَصُوصٌ بِهَذَا،
كَمْ أَوِ الصَّالِحِينَ.
الشَّرُكُ الْمَذْكُورُ

يَسْعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا
شَرِيكٌ بِاللَّهِ وَعِبَادَةٌ
لَا شَرِيكٌ لَهُ هِيَ التَّيِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَذَا

هُوَ الشَّرِيكُ الَّذِي
أَخْفَفُ مِنْ شَرِيكٍ
الْأَوَّلَيَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا فِي

مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ وَنَصَدَقُ الْقُرْآنَ، وَنَؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي وَنُصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!

فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَقَ رَسُولَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَكَذَبَهُ فِي شَيْءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِعَضِ الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ كَمَنْ أَقَرَّ بِالْتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالْتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وَجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الْحَجَّ، وَلَمَّا مَيْنَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِلْحَجَّ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ:

﴿وَلَيَأْتِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَلَمَيْنِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّغُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَضِّ وَنَكُفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدَنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِعَضِّ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الْكَافِرُ حَقًا، زَالَتْ هَذِهِ الشُّبُهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ التِّي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كُنْتَ تُقْرِئُ أَنَّ مَنْ صَدَقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَجَحَدَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ حَالَلُ الدَّمُ وَالْمَالُ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْبَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وَجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ؛ وَصَدَقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَا تَخْتَلِفُ الْمَذاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجَّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لَا يَكُفُرُ؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهَلُ!

وَيُقَالُ أَيْضًا: هُؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُؤْذِنُونَ وَيُصْلُونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلَمَةَ نَبِيًّا.

قُلْنَا: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفَّرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَاتُ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ أَوْ يُوسُفَ أَوْ صَحَابِيًّا أَوْ نَبِيًّا إِلَى مَرْتَبَةِ جَبَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْظَمَ شَاءَهُ! ﴿كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ حَرَّقُوهُمْ عَلَيْيِّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ، كُلُّهُمْ يَدْعُونَ الإِسْلَامَ وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَكِنْ اعْتَقَدوْ فِي عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ الاعْتِقادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةَ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفُرِهِمْ؟

أَتَنْهَنُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟

أَمْ تَنْهَنُونَ أَنَّ الاعْتِقادَ فِي تَاجِ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالاعْتِقادَ فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدِ الْقَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا الْمَغْرِبَ وَمَصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي الْعَبَّاسِ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصْلُونَ الْجُمُوعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظَهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءِ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ؛ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كُفُرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنَدُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكُفُّرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِكَ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَى الْبَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي كُلِّ

فَكَيْفَ تَجْعَلُونَا

سُبْحَانَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ

وَجَحَدَ وَجُوبَ

وَجَحَدَ الصَّوْمَ، أَوْ

أَنْكَرَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِمْ:

كُلَّمَنِ [آل عمران: ٤٦]

كَمَا قَالَ تَعَالَى:

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

كُلُّهُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

قَهْرُ الْكَافِرِ حَقًّا،

يَأْرِسْلَهُ إِلَيْنَا.

وَجَحَدَ وَجُوبَ

شَيْءٍ إِلَّا الْبَعْثَ،

السَّدَّاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ

أَحْسَمَ مِنَ الصَّلَاةِ،

وَكَفَرَ وَلَوْ عَمَلَ

كُلِّمَ لَا يَكْفُرُ؟!

مَذَهِبٌ: (بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدِ)، وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّواعًا كثِيرَةً كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ وَيُجْعَلُ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءً يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلُ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةً يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَرْزَحِ وَاللَّعْبِ.

وَيُقَاتَلُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ» [التوبه: ٧٤].

أَمَا سَمِعْتَ اللَّهُ كَفَرُهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمِنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ وَيُصَلُّونَ، وَيُرْكُونَ وَيَحْجُجُونَ، وَيُوْحَدُونَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: «قُلْ أَيُّ اللَّهُ وَإِيمَانُهُ، وَرَسُولُهُ، كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ لَا تَعْنَدُرُوا فَدَكَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» [التوبه: ٦٥-٦٦].

فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَخَ اللَّهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَرْزَحِ.

فَتَأَمَّلَ هَذِهِ الشُّبَهَةَ وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشَهِّدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ.

ثُمَّ تَأَمَّلَ جَوَابَهَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا: مَا حَكَى اللَّهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: «أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَمْ يَأْلَمْ إِلَهًا» [الأعراف: ١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ...»؛ فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنَّ هَذَا نَظِيرًا قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا. [صحيح، المشكاة (٥٤٠٨)].

وَلَكِنَ لِلْمُشْرِكِينَ شُبَهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَهِيَ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. لَمْ يَكْفُرُوا. فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا خِلَافٌ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

وَكَذِلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَا هُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَوْلَا مِنْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لِكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ -بِلِ الْعَالَمِ- قَدْ يَقُولُ فِي أَنْوَاعِ مِنَ الشَّرِكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ التَّعْلُمُ وَالتَّسْرِيرُ وَمَعْرِفَةً أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: «الْتَّوْحِيدُ فَهِمَنَاهُ!!» أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهَلِ وَمَكَابِدِ الشَّيْطَانِ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كُفْرٍ، وَهُوَ لَا يَدْرِي فِي بَعْدِهِ عَلَى ذَلِكَ فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَوْلَا مِنْ يَكْفُرُ فَإِنَّهُ يُغَلِّظُ عَلَيْهِ الْكَلَامَ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبَهَةُ أُخْرَى: يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أَسَامَةَ قَتْلَ مَنْ قَاتَلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَقَاتَلَهُ: «أَقْتَلَتْهُ بَعْدَمَا قَاتَلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!!» [البخاري ٤٢٦٩]، ومسلم [٩٦].

وَكَذِلِكَ قَوْلُهُ: «أَمْرَتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [البخاري ٢٥]، ومسلم [٢٢]. وَأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفْرِ عَمَّنْ قَاتَلَهَا.

وَمِرَادُهُ لِلْجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَاتَلَهَا لَا يَكْفُرُ، وَلَا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْجَهَالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشَهُدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ إِلِّيَّةَ إِلَيْهِمْ وَعِلْمُهُمْ.

وَكَذِلِكَ الَّذِينَ حَرَّقُوهُمْ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ.

وَهُؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مُقْرُونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كُفْرٌ وَقُتِلَ وَلَوْ قَاتَلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ إِلِّيَّةِ إِلَيْهِمْ كُفْرٌ وَقُتِلَ وَلَوْ قَاتَلَهَا.

فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرْعَانَ الْفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ

دين الرسُّلِ ورَأْسُهُ؟!

ولَكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهَمُوا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ:

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ، فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادْعَى الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادْعَى الإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَى دِمَهِ وَمَالِهِ، وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يُتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿يَتَآمِنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]؛ أَيْ: فَتَبَيَّنُوا.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَحِبُّ الْكَفُّ عَنْهُ وَالثَّبَثُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَاتَلَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّبَثِ مَعْنَى. وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ وَأَمْثَالُهُ مَعْنَاهُ مَا ذَكَرَنَاهُ: أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ وَالإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ إِلَى أَنْ يُتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفْتَلَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟!» [البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)].

وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)]. هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيْسُهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ لَئِنْ أَدْرَكُهُمْ لَا قَتَلْنَاهُمْ قَتَلَ عَادِ» [البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)]. مَعَ كُونِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسِيْحًا، حَتَّى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَفْعَلُهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلَا ادْعَاءُ الإِسْلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ. وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَنَاهُ مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنْيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْرِيَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لِمَا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنْعُوا الرَّكَابَ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَآمِنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَيِّ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ.

وَكُلُّ هَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُوا بِهَا مَا ذَكَرَنَاهُ.

وَلَهُمْ شُبَهَةُ أُخْرَى: وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغْشِيُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ يُنُوحُ، ثُمَّ يَابِرُ أَهِيمَ، ثُمَّ يُمُوسِي، ثُمَّ يُعِيسِي، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالُوا: فَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْاسْتِغْاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

وَالجَوَابُ: أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ! فَإِنَّ الْاسْتِغْاثَةَ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَغْثَنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْءِنَا عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّنَا﴾ [القصص: ١٥].

وَكَمَا يَسْتَغْثِيُونَ الْإِنْسَانَ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغْاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْأُولَيَاءِ، أَوْ فِي غَيْرِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ.

إِذَا ثَبَّتَ ذَلِكَ، فَاسْتِغْاثَتُهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوَا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ كَرِبِ الْمَوْقِفِ.

وَهَذَا جَائزٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ يُبَارِكُهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، فَتَقُولُ لَهُ: ادْعُ اللَّهَ لِي. كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَى وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ؛ بَلْ أَنْكَرَ السَّلْفُ الصَّالِحُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسِهِ!!

وَلَهُمْ شُبَهَةُ أُخْرَى: وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ لِمَا أُلْقِيَ فِي النَّارِ اعْتَرَضَ لَهُ جَبْرِيلُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيَّكَ فَلَا.

قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الْاسْتِغْاثَةُ بِجَبْرِيلَ شَرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ!

فَالجَوَابُ: أَنَّهَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبَهَةِ الْأُولَى؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النَّجْم: ٥].

فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي

المَشْرِقُ أَوِ الْمَغْرِبُ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمْرَهُ أَنْ يَضْعَفَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمْرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجْلٌ غَنِيًّا لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، يَرَى رَجُلًا مُحْتَاجًا فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ، أَوْ أَنْ يَهْبِطْ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذُ، وَيَصِيرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيهِ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّهُ فِيهِ لَأَحَدٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ اسْتِغْاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشُّرُكَ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟! وَلَنَخْتِمُ الْكَلَامَ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى – بِمَسَأَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ حِدًا تُفَهَّمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِنْ نُفَرِّدُ لَهَا الْكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الغَلطِ فِيهَا.

فَنَقُولُ: لَا خِلَافٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ، فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَكُفُرِ فِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلِطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حُقُّ وَنَحْنُ نَفَهْمُ هَذَا، وَنَشَهَدُ أَنَّهُ الْحُقُّ، وَلَكِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلُهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ.

وَلَمْ يَدْرِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئمَّةِ الْكُفُرِ يَعْرُفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتُرْكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الْأَعْذَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَشَرَّرُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَيْلَالًا» [النُّور: ٩]. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» [البَقْرَة: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالْتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ، أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدُّرُجِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْأَتَارِ» [النِّسَاء: ١٤٥]. وَهَذِهِ الْمَسَأَةُ كَبِيرَةٌ وَطَوِيلَةٌ تَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأْمَلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَتُرْكُ الْعَمَلَ بِهِ لِخَوْفِ نَصْرِ دُنْيَا، أَوْ جَاهِ، أَوْ مُدَارَأَةِ لَأَحَدٍ.

وَتَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتِينِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:

مدون العقيدة والتوحيد

أولاً همَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ ﴾ [التوبه: ٦٦].
 فَإِذَا تَحَقَّقَتْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَّوا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كَفَرُوا وَاسْبَبَ كَلِمَةً
 قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحَ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، أَوْ يَعْمَلُ بِهِ حَوْفًا مِنْ
 نَقْصٍ مَالٍ، أَوْ جَاهِ، أَوْ مُدَارَاهٍ لِأَحَدٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْرُحُ بِهَا.
 وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
 مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانِهِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرَ أَغْلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ [النَّحْل: ١٠٦ - ١٠٧].

فَلَمْ يَعْذِرْ اللَّهُ مِنْ هُؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًا بِإِيمَانِهِ.
 وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَوَاءً فَعَلَهُ خَوْفٌ، أَوْ مُدَارَاهٍ، أَوْ مَشَحَّةٌ بِوَطَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ
 أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَرْحَ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ إِلَّا الْمُكْرَهَ.

الْأُولَى: قَوْلُهُ: «إِلَّا مَنْ أَكْتَرَهُ» فَلَمْ يَسْتَشِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الْمُكَرَّهُ. وَمَعْلُومٌ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكَرِّهُ إِلَّا عَلَى الْكَلَامِ أَوِ الْفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيْدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكَرِّهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُّوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» [النَّحْل: ١٠٧]، فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الْكُفُرُ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أَوِ الْجَهَلِ، أَوِ الْبُغْضِ لِلَّدِينِ، أَوِ مَحَبَّةِ الْكُفُرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوطِ الدُّنْيَا فَأَثَرَهُ عَلَى الدِّينِ.

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلِيهِ وَصَاحِبِهِ وَسَلَّمَ.

• • •